

## التحويلات الموضوعية والفنية في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو، من خلال رواية

### (نهر يستحم في البحيرة)

د. أحمد زعرب

#### الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأخطار التي نجمت عن اتفاقية أوسلو، والتي زادت القضية الفلسطينية تعقيداً، وذلك من خلال رواية (نهر يستحم في البحيرة) للكاتب الفلسطيني يحيى يخلف كنموذج، حيث أوقعت هذه الاتفاقية السلطة الفلسطينية في شرك السياسة الإسرائيلية التي لم تتصف الفلسطينيين، ولم تعطهم أدنى حقوقهم، بل استمرت في عملية التهويد والإستيطان إلى الآن، كما ولم تعترف هذه الإتفاقية بالفلسطينيين كشعب يحق له أن يبني دولته

This study aims to discover the dangers caused by Oslo Accords, which complexed the Palestinian cause, through the novel (The Friver Bathe in a Lake), the Palestinian Novelist Yahya Yakhloof as a model, where inflicted Palestinian Authority cause in a trap of Israeli policy, which did not justify the Palestinians. It did not give them a minimum of their rights, but continued Judaization and settlements building up Moreover, this agreement did not recognize the Palestinians as a population has right to build their own country.

## المقدمة:

تناولت هذه الدراسة رواية "نهر يستحم في البحيرة" ليحيى يخلف، والتي كتبها بعد اتفاقية أوسلو، وقد كشفت هذه الدراسة من خلال الرواية أن اتفاقية أوسلو مثلت منعطفاً تاريخياً فارقاً في القضية الفلسطينية، وأنها تركت أثراً سلبياً مدمرة على الشعب الفلسطيني منها التنازل عن الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، والاعتراف بالكيان الصهيوني، والقضاء على حلم العودة، وضياع الأمل في بناء دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس.

قرأ الباحث رواية (نهر يستحم في البحيرة)، وسبر أغوارها، فوقف على معانيها، وفهم أن مؤلف الرواية لا يؤيد اتفاقية أوسلو لأنها تمثل في نظره كارثة حقيقية على الشعب الفلسطيني وقضيته. جاء البحث تحت عنوان (التحولات الموضوعية والفنية بعد أوسلو، رواية نهر يستحم في البحيرة نموذجاً) وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

هذا وقد قسم بحثه إلى ثلاثة محاور: الأول دار الجهد فيه حول الرواية والراوي، والثاني تناول التحولات الموضوعية في الرواية، أما المحور الثالث فقد عالج فيه التحولات الفنية في الرواية.

## الراوي و الرواية

### أولاً: مؤلف الرواية:

ولد الكاتب والروائي الفلسطيني يحيى حسن يخلف في قرية (سمخ) الواقعة على الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبرية عام (1944م)، وعندما احتل الإسرائيليون (سمخ) ودمروها عام (1948م) اضطرت أسرته للنزوح عنها، والتجأت إلى الأردن، وعاشت أسرته في المنافي وفي مخيمات اللاجئين، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة إربد (الأردن)، كما تلقى تعليمه العالي في رام الله وبيروت، ويحمل شهادة دبلوم المعلمين، وليسانس آداب.

والتحق في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية عام (1967م)، وشغل عدة مواقع سياسية، وإعلامية وثقافية، وهو عضو المجلس الوطني، وعضو المجلس المركزي في منظمة التحرير، ويعيش حالياً مع أسرته في مدينة رام الله، ويتأسس الآن اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم، كما ويتأسس اجتماعات اللجنة المشتركة بين منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة اليونسكو<sup>(1)</sup>.

وقد ظهرت تباشير النبوغ الأدبي عند يحيى يخلف وهو " شاب يافع لم يتجاوز حدود 20 عاماً، وهو ينتمي إلى جيل الآفق الجديد، المجلة التي صدرت في القدس في بداية الستينات"<sup>(2)</sup>.

وقد تم انتخابه عام (1980م) أميناً عاماً للاتحاد العام للكُتاب والصحفيين الفلسطينيين، ونائباً للأمين العام لاتحاد الأدباء العرب، وشغل مواقع ثقافية عديدة منها مدير عام دائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم، شارك كعضو في المجلس التنفيذي للمجلس

---

(1) ينظر: أبو نضال، نزيه، والفلقيلي، عبد الفتاح (الكاشف معجم كتاب وأدباء فلسطين)، منظمة التحرير الفلسطينية المجلس الأعلى للتربية والثقافة، (ن-ي) ص230، 231.

(2) الأسطة، عادل (كتعان مجلة فكرية ثقافية)، مركز إحياء التراث العربي في الطيبة، العدد 100، كانون الثاني، 2000م، ص65.

القومي للثقافة العربية (ومقره الرباط) في أعمال المجلس وندواته ومؤتمراته، وهو عضو في المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو).

شغل منصب وزير الثقافة في السلطة الوطنية الفلسطينية ما بين الأعوام (2003-2006م). يعد يحيى يخلف من "كتاب القصة والرواية الجادين في فلسطين ... ويتجه يحيى في قصته القصيرة اتجاهاً واقعياً في الأغلب، وتدور معظمها حول الموضوع الفلسطيني"<sup>(1)</sup>. أصدر العديد من الأعمال والقصص الروائية، وفازت روايته (بحيرة وراء الريح) بجائزة فلسطين للأدب، لعام (2000م).

صدر له العديد من المجموعات القصصية والروائية، أبرزها:

- المهرة: مجموعة قصصية - بغداد، وزارة الإعلام العراقية، 1974م.
- نورما ورجل الثلج: مجموعة قصصية - بيروت، دار ابن رشد، 1977م.
- تلك المرأة الوردية: رواية - بيروت، دار ابن رشد، 1980م.
- نجران تحت الصفر: رواية - بيروت، دار الآداب، 1976م.
- تقاح المجانين: رواية - بيروت، دار الحقائق، 1982م.
- نشيد الحياة: رواية - بيروت، دار الحقائق، 1985م.
- بحيرة وراء الريح: رواية - بيروت، دار الآداب، 1991م.
- تلك الليلة الطويلة: رواية تسجيلية - بيروت، دار الآداب، 1992م.
- نهر يستحم في البحيرة: رواية - عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997م.
- يوميات الاجتياح والسمود: رواية تسجيلية - عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002م.
- ماء السماء: رواية - عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2008م.
- جنة ونار: رواية - (تحت الطبع).

### ثانياً: مدخل للرواية:

تقوم رواية (نهر يستحم في البحيرة) على تجربة ذاتية للراوي، حيث غلب على أحداث الرواية تجربة الراوي الحالية (العودة والرحلة)، تخللها مقاطع استوحاها الراوي من الذاكرة امتدت إلى ما يزيد عن نصف قرن، وامتدت في مشاهد سريعة، مشاهد لطفولته في (سمخ) ولشبابه ودراسته في رام الله، وعلاقته القديمة بمجد، إلى الغربة في المنفى، ثم العودة إلى الوطن.

وقد استلهم الروائي (يحيى يخلف) من التاريخ العالمي شخصية (أونودو) الجندي الياباني الذي رفض الاستسلام أو الأسر أو الترويض، وطغى على أجواء الرواية سحابة من الحزن والغضب، فقد عاش الراوي ماضيه فيها، فتارة نراه صامتاً وأخرى متأملاً، وثالثة يحاور نفسه، ورابعة يبتعد عما يدور حوله، وخامسة غير مبالٍ بما يجري حوله، لقد تملكه شعور بالمرارة وخيبة الأمل واليأس والهزيمة

(1) السعافين، ابراهيم (الرواة على بيد الحكمة)، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص247.

النفسية، والغربة والوحدة، وعدم التكيف مع الواقع الفلسطيني الجديد بعد أوسلو، ويبدو أن الذي أوصله إلى هذه الحالة ما آلت إليه الثورة الفلسطينية بكل فصائلها وتضحياتها، حيث اعترف طرف أساسي في هذه الثورة بالاحتلال الصهيوني ومن هنا جاء الاعتراف بالهزيمة والاستسلام، والوطن لم يتحرر بعد، فهو أسير الخوف والمراقبة والتفتيش والاحتجاز والتهديد والتهويد والخراب والتدمير.

اهتم المؤلف في روايته بتفاصيل الرحلة كما اهتم بالبشر وسلوكهم ومشاعرهم، وبالمكان وبالوصف، وعرض مشاهد غرائبية ذات دلالات (هروب التماسيح).

رواية (نهر يستحم في البحيرة) رواية فكرية سياسية، فيها عمق، تدعو من يقرأها لفهم تعقيدات القضية الفلسطينية، صورت بشكل أدبي الواقع الفلسطيني الجديد وما حدث فيه من أثر سلبي على مستقبل القضية، فالتسويق الأمني يعزز وجود الاحتلال على الأرض، وما يسمى بالارتباط يذيب عناصر الصراع، وفي المقابل لا يجني الفلسطينيون أية ثمرة، وتستغل إسرائيل بدورها هذه الأجواء، وتقتصم هذه الفرصة لتمضي في سياسة تهويد القدس وبناء المستوطنات التي بلغت آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية.

### ثالثاً: ملخص رواية نهر يستحم في البحيرة:

عاد الراوي إلى الوطن بعد سبع وعشرين عاماً قضاها في المنفى والشتات في بلاد عربية مختلفة، تذكر الراوي قريته (سمخ) التي هُجّر منها وهو طفل ابن الأربع سنوات إثر النكبة (1948م)، لكن صورة القرية لا زالت ماثلة في خياله وحنينه لها دائم، فكثيراً ما كان يحدث مجد عنها وهو في المنفى.

يعبر الراوي جسر الملك حسين (اللنبي) على نهر الأردن فيرى الجنود الإسرائيليين كيف يديرون الحدود، وتسير به الحافلة، وبعد تفتيش وتدقيق يصل إلى غزة، فيرى بحرًا وشوارعها وسياراتها والشرطة وشعارات الفصائل على الجدران... وشاهد الأتربة على الأرصفة وأكوام القمامة. وفي غزة تلقى الراوي اتصالاً من مجد صديقه القديمة، أظهرت فيه رغبتها في زيارته، وقد تم لها ذلك، لكنه رآها قد تغيرت وكبرت وذهب جمالها.

شعر الراوي بالغربة في شوارع غزة، فقد وجد تناقضاً بين العائد إلى الوطن، وما يجب أن تبعثه تلك العودة فيه من فرح وغبطة، وبين واقع يشعره بالضيق وعدم الانسجام لأنه يرفض الهزيمة والاستسلام، خاصة أن الطرف الإسرائيلي لم يتخذ من السياسات والإجراءات ما يخفف من العداء التاريخي بين الطرفين، ولم يمهد لقبول فكرة التعايش.

لم يستطع الراوي الاندماج في النسيج الاجتماعي الفلسطيني في غزة، فقد كان يحلم بالعودة إلى الوطن التاريخي، ومسقط رأسه، لكنه عاد إلى غزة لاجئاً فلم يقدر على التكيف لأنه وجد صعوبة في فهم الواقع الذي بعث في نفسه الاضطراب والارتباك في الرؤية واستطلاع المستقبل وتحقيق حلمه في العودة إلى قريته (سمخ)، حاول الوصول إليها لرؤيتها فقط، فنسق مع مجد بعد أن حصل على تصريح زيارة لسمخ من السلطات الإسرائيلية.

بدأت رحلة الراوي من غزة إلى القدس بسيارة أجرة، فمر بالقرى والبلدات الفلسطينية المحتلة وتفاعلاً بحواجز التفتيش الإسرائيلية التي لا توحى بالسلام بل بتكريس الاحتلال، وحين وصل إلى القدس وجدها بصورة تختلف عما في ذهنه، رأى أفواج السياح، وجنود الاحتلال، وقطعان المستوطنين، والباعة على الرصيف، والتجار وبضاعتهم المختلفة، رأى باحة الحرم وقبة الصخرة وسور المدينة، صلى بالأقصى ركعتين بدموع حارقة لأن ناراً اشتعلت في قلبه من شدة الآلام.

التقى الراوي بمجد فأخبرته بأن أكرم عابد سيرافقهما في رحلتها، فانتظراه في مطعم قليل الزبائن، وبعد أن وصل أكرم وتناولوا جميعاً طعام الغداء، انطلقوا لإكمال رحلتهم وأثناء ذلك انتاب الراوي مشاعر الضيق لكثرة ما وجد من حواجز، وما حدث من تغيير في معالم البلدات والقرى الفلسطينية لطمس هويتها الفلسطينية بإقامة المستوطنات التي تحمل الأسماء العبرية.

وصل الراوي ومن معه إلى قرية (سمخ)، لكن أكرم عابد تركهما للبحث عن بيرتا، وقف الراوي أمام البحيرة تلفه الذكريات قبل النكبة وبعدها، تفاعلاً بالزوارق الإسرائيلية تنتشل جثة طيار إسرائيلي من قاع بحيرة طبرية بعد أن مكث في قمرة طائرته مدة ثمانية وثلاثين عاماً.

حملته ذكريات الطفولة ورائحة البحيرة إلى التساؤل هل هو الآن في (سمخ) التي كان يحلم في الوصول إليها، لكن شعوراً بعدم الألفة مع المكان أصابه بسبب التغيير الذي طرأ عليه، فقد أفتلعت البيوت وبنوا مكانها عمارات لا علاقة لها بنسيج المكان، شعر بالانهزام أمام واقع التهويد، وأحس بالغرابة لأن المكان ممتلئ باليهود والبيوت المهودة على شاطئ البحيرة.

أما أكرم عابد فقد جاء يبحث عن قصة حب قديمة بين عمه فارس الفارس وبيرتا الراقصة اليهودية قبل الهجرة في مرقص الليدو، وإذ إنهما هاجرا معاً إلى لبنان زمن النكبة، ثم عادت بيرتا وحدها إلى إسرائيل حين أفتضح أمرها، كان أكرم يحمل خاتماً أهدته بيرتا لعمه، استطاع أكرم الوصول إلى بيرتا فوجدها عجوزاً لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم وبالكاد تستطيع المشي، ووجهها متجدد وذاكرتها معطوبة.

انتقل الثلاثة تجاه تل أبيب لعلهم يصلون إلى معلومات حول جثة خال الراوي حيث رأى أكرم المظاهر العسكرية الإسرائيلية فشعر بالضيق وتساءل متعجباً لماذا هذا الشكل الأمني والعسكري وهذه الحشود المسلحة، وبعد وصولهم إلى المستشفى برفقة فريق تلفزيوني ليغطي الحدث فشل أكرم في الوصول إلى جثمان خال الراوي لأن الإسرائيليين طلبوا أن تدفن هذه الجثة خارج إسرائيل.

اقتنع أكرم بأن التعايش مع الإسرائيليين مستحيل و غير ممكن فقال: لا فائدة، لا فائدة، وفي الحوار الأخير على نقطة التفتيش الإسرائيلية على مشارف القدس عبر أكرم عن خيبة أمل حقيقية عندما سأله الجندي الإسرائيلي عن السلاح فصرخ في وجهه قائلاً: القنبلة موجودة داخل صدري... في أعماقي... حذار من الاقتراب فقد تنفجر بين لحظة وأخرى.

## التحولات الموضوعية في رواية (نهر يستحم في البحيرة)

هناك كثير من التحولات الموضوعية في الحالة الفلسطينية والعربية كشفت عنها هذه الرواية منها:

**أولاً: أوصلو لم تحقق السلام الحقيقي، وإسرائيل بممارساتها اللامسئولة وراء فشل فكرة التعايش والتطبيع:**

أحدثت اتفاقية أوصلو تحولات مهمة في الحياة السياسية الفلسطينية هذه التحولات تجسدت "في قيام سلطة وطنية على مناطق في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي سلطة تجد مبرر وجودها في استكمال تحولها إلى دولة مستقلة، معتمدة في الدرجة الرئيسة على التفاوض مع الدولة المستعمرة التي تسعها من جانبها عبر الاستيطان والضم والسيطرة على الحدود والمعابر والموارد الطبيعية المهمة، النقليس وتجزئة رقعة سيطرة السلطة الفلسطينية إلى أقصى الحدود، إضافة إلى تكرر لحقوق الفلسطينيين في الشتات"<sup>(1)</sup>.

بعد أوصلو قام الاحتلال الصهيوني بعملية تسويق مستمرة ومماثلة دائمة في تنفيذ التزاماته، واختلاق الذرائع التي تعوق ذلك، مستفيداً من هذه الحالة في تحسين صورته أمام العالم "وحيث نشبت انتفاضة الأقصى تعاملت قيادة الاحتلال (شارون) معها على أساس من هذا التصور، فهاجمت المدن والقرى الفلسطينية ودمرت أهم ما بنته السلطة فيها وممتلكات الناس، وقتلت واعتقلت الفلسطينيين المقاومين لها، كما حاصرت (الرئيس عرفات) في مقر مقاطعة رام الله بعد أن دمرت معظم بناياتها، وقطعت عنه الماء والكهرباء، ومنعت زيارته والاتصال به"<sup>(2)</sup>.

وبعد انتخابات عام (2006م) اعتقلت إسرائيل نواب المجلس التشريعي، وبنيت سور العزل العنصري الذي ابتلع آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية الفلسطينية وأحواض المياه الكبرى في الضفة، كما حاصرت المدن والقرى الفلسطينية باسم حماية أمنها الداخلي.

**ثانياً: أوصلو أضعفت حلم العودة للوطن ومزقته، وفرقت بين أبناء الشعب الفلسطيني:**

في رواية (بحر يستحم في البحيرة) يشير الروائي إلى حقيقة برزت مع اتفاق أوصلو وهي عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هُجروا منها عام النكبة أو النازحين بعد النكسة، فاتفاقية أوصلو لم تُعد لاجئاً فلسطينياً واحداً إلى بلدته الأصلية، وإنما كانت العملية مجرد عبور إلى غزة والضفة للسكن فيها كبديل عن البلدة الأصلية، يقول يحيى يخلف على لسان السارد في هذه الرواية:

---

(1) هلال، جميل (مقال: أبعاد مأزق المشروع الوطني الفلسطيني بعد أوصلو)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد36، خريف 1998م، ص18.

(2) العواودة، زين العابدين (بحث بعنوان: البنية الولاية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد أوصلو)، (مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية)، شئون البحث العلمي، المجلد العشرين، العدد الأول، ربيع أول 1433هـ، يناير 2012م، ص140-141.

سألني شيخ كبير التقيت به في سهرة عند أحد الأصدقاء...

- هل أنت من غزة أم من الضفة؟
- أجبته على الفور: لست من غزة، ولست من الضفة.
- من أين إذن؟
- من سمخ المحتلة عام 48 والتي تقع جنوب بحيرة طبرية.
- أنت من سمخ؟
- نعم.
- ما دمت من سمخ فأنت إذن من غزة.

ضحكنا في تلك الليلة للياقة والكياسة اللتين تحلى بهما الرجل الشيخ، فقد رغب في أن يشعرني بالألفة. وألا أشعر بأنني لاجئ من لاجئي عام 48.. أراد أن يقول.. ما يهمه ذلك، ليقبل ما يشاء ذلك الشيخ الذي يتحلى بسجايا طيبة، فالحقيقة أن سمخ لا تزال هناك بعيدة.. والبحيرة لا تزال هناك وراء الريح<sup>(1)</sup>.

اعتز الراوي ببلدته الأصلية التي ينتسب إليها، وعاش فيها الآباء والأجداد، والذي كان يحلم بالعودة إليها، لكنه صدم من كلام الشيخ (ما دمت من سمخ فأنت إذن من غزة) هذه الجملة نكأت الجراح القديمة، وهزت الذاكرة التي حاولت أن تربط سمخ بالواقع الجديد، هذه الجملة لم تمر على الراوي مرور الكرام، حاول أن يبرر للشيخ حتى يستطيع أن يتجرعها (ضحكنا في تلك الليلة للياقة والكياسة اللتين تحلى بهما الرجل الشيخ، فقد رغب أن يشعرني بالألفة.. ليقبل ما يشاء ذلك الشيخ الذي يتحلى بسجايا طيبة) لكن الراوي رغم ذلك لم يستطع الهروب من الحقيقة (فالحقيقة أن سمخ لا تزال هناك بعيدة... والبحيرة لا تزال هناك وراء الريح) الحقيقة كما أدركها الراوي أنه لا زال لاجئاً ما دام لم يعد لبلدته الأصلية (سمخ).

وتمضي الرواية، ويتوقف الراوي عند حق العودة أيضاً، لكن هذه المرة ليس للأحياء بل للأموات، ليس معنى هذا أن من يموت يحق له أن يُدفن في بلدته الأصلية، وفي ذلك إشارة إلى أن حق العودة مرفوض لدى الصهاينة جملة وتفصيلاً سواء كان ذلك للأحياء أو للأموات، يبدو ذلك واضحاً من خلال تقنية الحوار المتخيل بين رجلين أحدهما فلاح فلسطيني أثر الموت على تراب قريته (سمخ) فقد أصيب بطلق ناري من سلاح جنود الاحتلال عندما أراد العبور إلى سمخ منذ سنوات طويلة فاستشهد، وحمل الجنود الصهاينة الذين قتلوه جثته ووضعوها في ثلاجة الموتى لعلمهم يستطيعوا مبادلتها بالأسرى المفقودين، والآخر طيار إسرائيلي فقد حياته جراء سقوط طائرته في معركة جوية مع الطائرات السورية، ولم يعثر عليه لأن الرمال غمرت الطائرة في قاع البحيرة ولم تحلل جثة هذا الطيار لأن كابينة الطائرة الزجاجية كانت مغلقة جيداً منعت من تسرب الهواء، وبعد أن تم العثور على جثته ووضعها في الثلاجة نفسها التي يُحتفظ فيها بجثة الفلاح، وهنا يتسائل الراوي على لسان (العاد) وهو شخصية تقوم

(1) يخلف، يحيى (نهر يستحم في البحيرة)، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1997م، ص11-12.

بدور معد للبرامج في التفاوض الإسرائيلي: "لو تخيلنا أن حواراً جرى في تلك الليلة بين الرجلين، فماذا سيقول الكابتن طيار، وماذا سيقول الفلاح الفلسطيني... تصور ماذا يقولان عن الحرب والسلام... ماذا سيقولان عن اتفاقات أوسلو وواشنطن وطابا... ماذا سيقولان عن رابين وبيرس... وماذا سيقولان عن عرفات وأبو مازن؟"<sup>(1)</sup>.

بعد طرح هذه الأسئلة المحيرة، حاول الراوي أن يكون قريباً من الحقيقة حتى ولو كانت مرة المذاق لا يمكن تجرعها أو استساغتها يقول: "وإذا ثبت أن صاحب الجثة هو الشخص المعني، فإنهم سيسلمونها لنا عن طريق الصليب الأحمر لتدفن خارج إسرائيل"<sup>(2)</sup>. يظهر القرار الإسرائيلي واضح وهو عدم القبول بحق العودة، فقد احتفظوا بهذه الجثة سنوات وكان بإمكانهم دفنها في أي مكان، لكن قرارهم لا بد أن تدفن خارج إسرائيل، فأرض إسرائيل كما يدعون حق لهم وحرام على الآخرين -حتى ولو كانوا أصحابها الأصليين- العودة إليها أو حتى دفن موتاهم فيها، هذه هي العنجهية والعنصرية التي ليس لها حدود، فإذا لم يقبلوا دفن الموتى الفلسطينيين بجانب الموتى الإسرائيليين، فكيف يطيقون أو يقبلون بالتعايش بين الأحياء!!

شعر كثير من الفلسطينيين خاصة النخبة من الثوريين والمثقفين بخيبة أمل بعد اتفاقية أوسلو، لأنهم اعتبروها مجرد لعبة سياسية للقضاء على الانتفاضة، والالتفاف على حقوق الشعب الفلسطيني، ورأوا في هذه الاتفاقية ضياع للوطن ولحلم العودة.

لقد نجم عن توقيع اتفاقية أوسلو تراجع خطير في مسار القضية الفلسطينية، فلم تعد للثوابت الفلسطينية مكان في المشهد السياسي الفلسطيني المفاوض، وفي هذا اختراق كبير لميثاق منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى الأرض لم تعد هناك ممارسات ثورية في المنفى، وهذا شجع إسرائيل على الإقدام بخطوات جريئة نحو تهويد القدس وجعلها عاصمتها الأبدية، فمنذ أن "فصلوا القدس عن الضفة باتت القدس دولة أخرى لها حدود ومعايير، ونقطة تفتيش وهويات ولا تتقصها إلا الفيذا، وحتى هذه وفروها لها وأسموها تصريحاً، أو ريشيون"<sup>(3)</sup>، وكذلك رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين، ورفض الانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران عام (1967م)، ورفض تحديد الحدود، وتواصل حركة الاستيطان على نطاق واسع في الضفة الغربية.

قدمت اتفاقية أوسلو "الدولة الاحتلال اعترافاً فلسطينياً تاريخياً بها، وأعطتها شرعية ما كانت لتبلغها لولا سوء الحسابات الفلسطينية، وتهاون المفاوضين في الدفاع عن حقوق شعبهم، في حين اعترف قادة الاحتلال بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة وحيدة لشعبها في التفاوض معه، وفي إدارة الشؤون المدنية للتجمعات السكانية الكبرى، دون الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره فوقه بذلك الخطأ الفادح"<sup>(4)</sup>.

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص134.

(2) (نهر يستحم في البحيرة)، ص139.

(3) خليفة، سحر (الميراث)، بيروت، دار الآداب، ط1، 1997م، ص138.

(4) ينظر: العواودة (البنية الدلالية)، ص129-130.



ويرى المفكر الفلسطيني (إدوارد سعيد) أن أوصلو منحت الاحتلال الصهيوني فرصة زمنية تاريخية ليغير معالم الواقع على الأرض، فقد استثمر الاحتلال الاتفاقيه في تمرير مخططاته التوسعية التهودية للأرض والمقدسات الفلسطينية، ويضيف شروطاً جديدة من أهمها مطالبة السلطة الاعتراف بيهودية الدولة، يضاف إلى ذلك الانقسام الفلسطيني الفلسطيني الحاضر بقوة، بسبب اختلاف الأخوة الفراء في الإيديولوجيا والرؤى السياسية وسبل الحل مع الاحتلال<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى ذلك استطاع العدو الصهيوني أن يفرض سياسته الاحتلالية من خلال التجزئة الإقليمية للأراضي الفلسطينية، وخاصة الفصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة وبين هاتين والقدس، ومواصلة الاستيطان والتهويد والفصل العرقي، والممارسات العنصرية.

لم تستطع السلطة الفلسطينية مواجهة هذا السياسة المقيدة والمعتزضة على قيام الدولة الفلسطينية وتقرير المصير للشعب الفلسطيني لأنه ينخر في كيانها ضعف داخلي فخصية السلطة معادٍ للمؤسسة، فالقرارات تخرج من مؤسسة الرئاسة، أما الحكومة ووزرائها فهم جهة تنفيذية خدماتية لا شأن لهم بالسياسة، فاستفرد الرئيس بالقرار في غياب التنوع السياسي والتنظيمي بسبب عدم الانسجام السياسي لأن لكل من السلطة والمعارضة برنامجاً خاصاً به يختلف عن الآخر.

أمام ضعف السلطة واستغلالاً له فقد فرضت إسرائيل ضغطها "المتواصل على السلطة الوطنية الفلسطينية للامتثال إلى متطلبات المفهوم الإسرائيلي للأمن بدلاً عن المضمون السياسي للسلام، هذه السلطة أمام مأزق جدية، ويحمل هذا الضغط وما يرافقه من عملية إفقار في طياته احتمالات وقوع انفجارات اجتماعية وسياسية في المناطق الفلسطينية، كما يهدد بانهاية المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وقبر اتفاق أوصلو نهائياً، وفرض ترتيبات بالقوة العسكرية"<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن هدف إسرائيل من الضغط على السلطة الفلسطينية دفعها بعيداً عن النهج الديمقراطي، وتحويلها إلى نظام تسلطي يدور في الفلك الإسرائيلي، وتحويلها أيضاً إلى نظام مجوف خالٍ من التطور الاقتصادي والحضاري والديمقراطي.

### ثالثاً: الرواية تكشف طبيعة الشخصية الإسرائيلية والواقع الفلسطيني الجديد بعد أوصلو:

يعيش الإسرائيليون دائماً هاجس الخوف وينتابهم شعور بعدم الأمان، هذا الرعب الشديد يسكن كيانهم الداخلي ففي الرواية يتشكل حيناً على صورة حيوانات مفترسة كالحوت الذي خرج من بحر غزة، وحيناً على شكل ضبع له أنياب، وأخرى على شكل كركدن ووحيد القرن، ومرة على شكل تماسيح مفترسة.

يقول الراوي: "امتألت شائعات في المدينة عن حوت خرج من البحر، وعبر الخط الأخضر إلى الجانب الآخر.. ترددت أنباء عن حواجز إسرائيلية على الطريق السريعة للبحث عن حوت له فك مفترس، يُعتقد أنه خرج من بحر غزة.. كانوا يفتشون هذه المرة عن كركدن.. عن وحيد القرن المرعب..

(1) ينظر: سعيد، إدوارد (المتقف والسلطة)، ترجمة محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص21-22.

(2) هلال (النظام السياسي الفلسطيني بعد أوصلو)، ص260.

انتبهوا.. هناك عدد كبير من التماسيح موجودة في هذا المكان.. إنها تماسيح مفترسة.. كانوا يفتشون عن ضبع له أنياب..<sup>(1)</sup>.

جاءت هذه الأخبار في مواطن متعددة من الرواية، وكأن الراوي يريد أن يؤكد على أن الإسرائيليين يعيشون كل لحظات حياتهم هذا الهاجس، ورغم إمكانياتهم العسكرية والتكنولوجية المتوفرة والمتطورة، واحتياطاتهم الأمنية التي لا تنهون في أبسط الأمور، إلا أن هذا الرعب أضحى مكوناً أساسياً من طبيعة شخصياتهم لا يستطيعون الانفكاك عنه أو التخلص منه، لذا ففسياتهم مضطربة قلقاً دائماً، وهذا ينعكس بشكل واضح على قراراتهم وسلوكهم.

هذا التصور الخرافي جعلهم دائماً يفترضون عدواً وهمياً، ومن ثم يمكن تجسيد ملامح الشخصية الإسرائيلية في "إنكار الآخر وإقصائه، وعدم السلام والتعايش، وتعادي التاريخ والتراث والحضارة، وتمارس العنصرية والتمييز، والتكرار لحقوق الفلسطيني الإنسانية حتى في أدنى حقوقه.. إضافة إلى العجرفة وغياب الروح الإنسانية وسيطرة المادة، والقلق والخوف والرعب والاستعداد الدائم للحرب"<sup>(2)</sup>.

لقد سجل المؤلف في روايته تحولات الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري والثقافي والاقتصادي في فلسطين الجديدة بقلمه الراصد، وبنظرة الناقد، وسجل التحول الصارخ من مقاومة الاحتلال إلى التعايش معه دون أن يجني الفلسطينيون من ذلك سوى التمزق والتشردم الجغرافي والاجتماعي والسياسي وضبابية المستقبل "عاد كما عاد أهل الكهف، فأصابه الاكتئاب، وسقط في بئر القلق.. كانوا في حلقة البحث يطرحون الأفكار حول الطريقة التي يمكن فيها إدماجه في نسيج المجتمع، في إقناعه بالتكيف مع الواقع الجديد"<sup>(3)</sup>.

هذا الواقع الجديد له برنامجه وأجندته التي لم تقتنع بها الراوي، ولا يستطيع قبولها أو الانسجام معها ولو بشكل نسبي لذا فقد "جاء خطاب الكاتب الروائي والسياسي والفكري والنفسي في النص رافضاً لاتفاقية أوسلو وإفرازاتها على أرض الواقع، ورافضاً للعودة الناقصة للثورة الفلسطينية، ومنتقداً الإدارة السياسية والأمنية والاقتصادية والمدنية الفلسطينية للمناطق المحتلة، وإدارة السلطة التفاوضية مع المحتل... وناقماً على المثقفين الفلسطينيين الذين انضوا في ركاب السلطة دون أن يكون لهم دور طليعي في ترسيخ المبادئ التي آمنوا بها قبل انخراطهم في العمل السلطوي"<sup>(4)</sup>.

لقد كشفت الأيام زيف اتفاقية أوسلو وتداعياتها، حيث أدخلت هذه الاتفاقية السلطة الفلسطينية في دوامة لم تحسب لها حساب، دوامة سياسية (التفاوض غير المثمر) ودوامة اقتصادية، فالاقتصاد الفلسطيني مرتبط بالاقتصاد الإسرائيلي، ودوامة اجتماعية فانتشر الفقر وعمت البطالة، ودوامة أمنية

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص25، 36، 61.

(2) رزقه (الشعور بالنزعة وتداخلات الرواية والسرد في رواية نهر يستحم في البحيرة)، الجامعة الإسلامية، غزة، ص30-31.

(3) (نهر يستحم في البحيرة)، ص48-49.

(4) العواودة (البنية الدلالية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد أوسلو)، ص134.

ظهرت واضحة من خلال الفلتان والاعتداءات الإسرائيلية، ويمكن الوقوف على المشهد الفلسطيني في هذه المرحلة من خلال التالي:

1- غياب دور مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، وتهميش دور المؤسسات التي نشأت في ظل السلطة.

2- لم يشترك في بناء السلطة إلا حركة فتح التي احتكرت الموارد المالية والتنظيمية والأمنية، واستأثرت بها لنفسها لتوسع سيطرتها وتثبيت أركانها، بالمقابل لم يكن للسلطة التشريعية والقضائية أي استقلالية أو فاعلية مؤثرة إيجاباً على أداء السلطة.

3- انحسار دور المعارضة بسبب انعدام الديمقراطية، وممارسة السلطة الضغوط عليها.

4- كان للاتحادات والنقابات دور شكلي لا يخدم الفئات التابعة لها، وكانت هذه المؤسسات مجرد أداة تنفيذية في يد السلطة.

#### رابعاً: أوصلو بين الرفض والغضب وبين الحزن والانكسار في الرواية:

واجهت إسرائيل تحديات استراتيجية جراء رفض الحركات الفلسطينية المقاومة لأوصلو، فشلت في ترسيخ وجودها ككيان مقبول في جسم الأمة العربية والإسلامية عامة، وفي ذهن الفلسطيني خاصة. هذه التحديات أدخلت إسرائيل في أزمة حقيقية لأنها أدركت أن الشعب الفلسطيني بعد أوصلو يميل إلى المقاومة، وهذا فرض على المقاومة أن تزيد من قوتها وقدراتها الأمنية والعسكرية، علاوة على أن إسرائيل نفسها لم تأل جهداً في القضاء على المقاومة لكنها فشلت فشلاً ذريعاً سواء كان ذلك في انتفاضة عام (1987م)، أو على يد السلطة الفلسطينية، أو من خلال الحروب التي شنتها على قطاع غزة في حرب عام (2008م)، وحرب عام (2012م)، وحرب عام (2014م)، وكذلك فرض الحصار على قطاع غزة منذ عام (2006م) وحتى الآن.

لقد أثبتت المقاومة الفلسطينية أن لديها القدرة على التأثير في الحياة السياسية في إسرائيل "فالتأثير السياسي بدأ واضحاً في ثلاثة اتجاهات، الأول: إجبار إسرائيل على الهروب من غزة خلال تنفيذها لخطة فك الارتباط عام (2005م)، الثاني: تأثيرها في المشهد السياسي، مما أدى إلى تآكل النظام الديمقراطي في الدولة العبرية، الثالث: توجهاتها وسعيها (المقاومة) نحو إعادة أسلمة الصراع الذي سيؤدي إلى استعلاء العالم الإسلامي لإسرائيل، مما يكون له تبعات استراتيجية خطيرة على الدولة العبرية"<sup>(1)</sup>.

انتهج المؤلف في روايته أسلوباً سردياً خاصاً جمع فيه بين الغرائبية والرمزية والواقعية والنفسانية، كذلك جمع فيه بين الرفض والغضب وبين الحزن والانكسار الذي كان له التقدمة.

لقد حملت الأحداث صرخة غاضبة بعد سلسلة من الإخفاقات وخيبات الأمل، لقد علمته التجربة خلال رحلة الأحزان أن الوطن ليس أرض وتاريخ فقط، بل هو مواطن، والمواطنة تعني النضال من أجل تحقيق الحلم، كما تعني أيضاً تغيير الواقع الأليم، "عسقلان أصبحت أشكلون، والسوافير

(1) حبيب، إبراهيم (بحث بعنوان: أثر المقاومة الفلسطينية على الأمن القومي الإسرائيلي)، (مجلة الجامعة الإسلامية - غزة)، عمادة البحث العلمي، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، رجب 1431هـ، يونيو 2010م، الجزء الثاني، ص1111.

صارت شايبير، ونخلة جونس تقف وحيدة على التلة، وبقايا البيوت التي لم تقتلعها الجرافات ماتت وحيدة منذ زمن، فهي تشبه الأضرحة<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: الأثر النفسي والاجتماعي الذي أحدثته أوسلو في الضمير الفلسطيني:

أدرك الراوي بوعيه وثقافته وطول تجربته حقيقة الواقع الفلسطيني الجديد الذي عايشه عن قرب، ومن خلال مسؤوليته الأخلاقية والأدبية، ودوره كروائي المنوط به قال بصراحة: "أنا العائد أفق ضائعاً في شارع من شوارع وطني، أشعر بالغرابة والوحدة، أشعر بالرغبة في البكاء.. لعله اكتشف حيرتي وضياعي"<sup>(2)</sup>.

أصاب عقد اتفاقية أوسلو كثيراً من الفلسطينيين بنوع من الإحباط واليأس، وذلك عندما اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بالكيان الصهيوني مقابل اعتراف الكيان الصهيوني بالمنظمة كمثل للشعب الفلسطيني لبناء سلطة مدنية خدمتية وليس لبناء دولة فلسطينية مستقلة، ولشدة وعيهم بطبيعة الكيان الصهيوني وألعيه، كانوا على يقين بأن هذه الاتفاقية خطوة إلى الوراء، وتراجع في مسيرة القضية الفلسطينية.

يقول هاني الحسن (عضو اللجنة المركزية لحركة فتح): "لم يعد الصمت ممكناً، إن أول ضربة للاجئين كانت تتمثل في اتفاق أوسلو"<sup>(3)</sup>، وتقول د. حنان عشاوي (عضو وفد مدريد واشنطن، وزيرة التربية والتعليم في سلطة الحكم الذاتي): "... حين كنا نصل في مفاوضات واشنطن لشيء إيجابي يقولوا لنا هذا لا يكفي وهذا ليس إيجابياً. اتضحت الأسباب الفعلية حين انكشفت قناة أوسلو. كنا نشدد في موضوعات معينة، ولم نكن نعرف أنهم في مفاوضات أوسلو السرية قد تراجعوا عنها مثل الاستيطان والقدس وتأجيلها يدفعوننا للتشدد في واشنطن بينما المرونة في أوسلو، نحن أول طرف يخترع مبدأ جديداً في عالم المفاوضات عنوانه: وقع أولاً ثم فاض ثانياً"<sup>(4)</sup>.

الشعور بالإحباط جراء توقيع هذه الاتفاقية هز كثير من النفوس لورود أسئلة داخلها لا تجد لها إجابة تهدئ من روعها، أو تقنعها بجدوى هذه الاتفاقية، "كنت في تلك اللحظة أشعر أنني أشبه حصاناً عجوزاً هراً ينتظر رصاصة الرحمة.. إنهم يقتلون الجياد.. أليس كذلك؟... أنا الآن الخاسر الأخير... لا داعي للمواساة والشفقة"<sup>(5)</sup>. كادت هذه النفوس بسبب التشتت الفكري أن تتمزق، فمفاجأة هذه الاتفاقية أذهلتها بل أرهقتها لأنها لم تستطع استيعابها، يقول حبيب هنا: فاجأتنا الأخبار بعقد اجتماعات سرية

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص34.

(2) السابق، ص26.

(3) حواتمة، نايف (أوسلو والسلام الآخر المتوازن)، الأهالي، بيسان، (د.ت)، ص262.

(4) أوسلو والسلام الآخر المتوازن، ص263.

(5) (نهر يستحم في البحيرة)، ص137.

مع رجالات المحتل قتلت فينا كل أمل في الحرية والاستقلال، وتحقيق الشعارات المرفوعة، وأصبنا بالخيبة وفقدان الثقة بجدوى التضحيات التي باتت عرضة للتجاوز والقفز عليها<sup>(1)</sup>.

وربما يسأل سائل: هل يمكن لهذه الاتفاقية أن تقفز على تاريخ زاخر بالتضحيات والبطولات فتذيبه أو تمسحه من الذاكرة؟ وهل سنوات الصبر الطويلة التي تجرع فيها الفلسطيني اللاجئ في المخيمات وفي المنافي والشتات مرارة العيش، وعذاب الغربة ستضيع سدى؟.

عندما قَدِمَت السلطة الفلسطينية إلى الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وجدت المجتمع الفلسطيني يعاني كثيراً من آثار الاحتلال الذي كان جاثماً على صدره، وتعد طبقة العمال أكثر طبقات المجتمع معاناة لأنه أُغلق في وجهها باب العمل داخل الخط الأخضر أو حتى في الدول العربية وتتسم الطبقة العاملة بضعف ترابطها التكويني بحكم غياب أو هشاشة العلاقات البيئية لاقتصاد الضفة والقطاع... وتتميز مهن العمال بغياب الأمان الوظيفي وبعدم الاستقرار في الدخل...، وتميز وضع الفئات العمالية منذ قيام سلطة فلسطينية بتراجع ملموس في مستويات المعيشة الفعلي، فقد اتسعت الهوة في مستويات المعيشة بين الفئات العمالية والفئات الاجتماعية الأخرى بحكم القيود التي فُرِضت على سوق العمل الإسرائيلي... كما تتمتع الفئات العيا منه بدخول عالية مقارنة بأجور العمال... سادت منذ قيام السلطة الفلسطينية نسب بطالة عالية<sup>(2)</sup>.

مقابل حال العمال الذي يرثى له والذي لم يجد من يعمل على معالجته، ومما زاده سوءاً رؤية النظام السياسي القائم كنظام يقش في الفساد والمحسوبية، ويسير باتجاه توسيع اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية، وظهور أشكال من الاستهلاك الاستعراضي لم تكن معهودة سابقاً، وتحديدًا في مرحلة الانتفاضة<sup>(3)</sup>.

ويغلب على الرأسمال الفلسطيني المستثمر طابع المحلية (أي يعمل على نطاق جغرافي محدود) من حيث التشغيل والتوزيع والتسويق، وهذا شكل ضعف الترابط البنوي للاقتصاد الفلسطيني وتكوينه، ويشار إلى أنه تمت شرائح جديدة من أصحاب رؤوس الأموال بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، وعبر هذا النمو عن نفسه عبر ظهور العديد من الشركات الخاصة التي تشارك فيها شخصيات عامة نافذة في السلطة دون وضوح الصفة القانونية لشراكة هذه الشخصيات فيها، وقد أخذت بعض هذه الشركات أبعاداً احتكارية<sup>(4)</sup>.

ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها في هذا المقام أن الاقتصاد الفلسطيني اتصف في هذه المرحلة بالهشاشة والتفكك، وذلك لتبعيته شبه المطلقة للاقتصاد الإسرائيلي ولاعتماد مؤسسات السلطة والمنظمات غير الحكومية على مصادر تحويل خارجية من الدول المانحة.

(1) هنا، حبيب (حفريات على جدار القلب)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 2003م، ص122.

(2) هلال، جميل (النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو)، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ط1، 1998م، ص255.

(3) السابق، ص255.

(4) السابق، ص256.

## التحويلات الفنية في رواية (نهر يستحم في البحيرة)

في ظل التغيرات التي طرأت على الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية بعد اتفاقية أوسلو داخل المجتمع الفلسطيني، ولمواجهة واقع هذا التغيير كان للفن السردى دوره كمسار ثقافي في هذا المجال، حيث إن الأدب المميز الخلاق دائماً يحمل رسالة يكتبها الأديب المؤمن بهذه الرسالة، فيقوم بتشخيص الواقع وتجسيده ونقده ومواجهته بالكتابة التي هي سلاحه القوي الذي يملكه، فالكتابة هي عمل فني إبداعي يحاول من خلاله الأديب أن يعبر عما يختلج في صدره من آلام وما في عقله من فكر كبديل لعدم قدرته على تغيير الواقع المعاش بشكل مباشر.

لقد خاض المبدع الفلسطيني صناعة خطابات روائية حديثة تشكلت بعد أوسلو، كان لها أبعادها الإنسانية التي اتسمت بالعمق والاتساع، ويبدو أن أهمية وخصوصية القضية الفلسطينية وصدق الانتماء الفلسطيني لها هو ما دفع إلى هذا الإبداع الفني غير المسبوق في تأثيره وعلاقاته.

ومن مظاهر هذا الإبداع التفاعل الخطابى الذي يجمع بين الإثارة والتشكيل الفنى الجمالى، ويظهر ذلك واضحاً من خلال النسيج السردى الذي يعتمد على التقديم والتأخير للأحداث، بل ويكسر وتيرة السرد التقليدية التي تسير متتابعة خطوة بعد خطوة.

ويضاف إلى الإبداع الجمالى في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو الإبداع الدلالي الذي يعبر فيه المؤلف عن موقفه السياسى حول اتفاقية أوسلو بشكل ضمنى دون تصريح أو توضيح مباشر، هذه الدلالة تحمل رسائل مركزة للمتلقى لتوعيته، وللمسؤولين عن هذه الاتفاقية لتحميلهم المسؤولية عن نتائجها السلبية.

ويرى الأستاذ الدكتور يوسف رزقة في كتابه (الشعور بالهزيمة وتداخلات الرؤى والسرد في رواية نهر يستحم في البحيرة) أن "تعدد مستويات السرد، وتعدد الأجناس الأدبية المكونة لجسم الرواية، وتعدد تقنيات إنتاج الخطاب الروائى قد أخرجت جميعاً رواية (نهر يستحم في البحيرة) من سياق (الحدوتة) إلى سياق (الروائية) التي تتكىء على مجموعة من التقنيات"<sup>(1)</sup>.

فمن يتأمل زمن السرد في رواية (نهر يستحم في البحيرة) يجده منقطعاً بين الاسترجاع والاستباق والحلم والضبابية، أما المكان البارز في هذه الرواية فهو قرية الراوى (سمخ) التي أحتلها العدو الصهيونى عام (1948م)، والراوى عندما تحدث عنها ربط معنى الحرية وتحقيق الحلم بالعودة إليها، والذي زاد الراوى همماً وغماً وكمداً ما حدث لقريته من تغيير نتيجة سياسة التهويد لطمس هويتها الفلسطينية.

لعبت ثلاثة شخوص فلسطينية دوراً فاعلاً في مجريات الأحداث في الرواية. وهي شخصية الراوى أو كاتب الرواية وأكرم عابد ومجد، لكل واحد من هذه الشخصيات قضية تكاد تكون في جوهرها قضية واحدة، فكل منهم يبحث عن مفقود.

(1) ينظر: رزقة، يوسف (الشعور بالهزيمة، وتداخلات الرؤية والسرد في رواية نهر يستحم في البحيرة)، ص36.

## أولاً: حول الرواية:

صدرت رواية (نهر يستحم في البحيرة) للكاتب الفلسطيني يحيى يخلف عن دار الشروق للنشر والتوزيع عام (1997م)، ويبدو أنها كتبت في عام (1994م) بعد عودة الكاتب إلى الأراضي الفلسطينية إثر اتفاقية أوسلو.

## وصف الرواية:

غلاف الرواية: انقسمت صفحة الغلاف الأول إلى قسمين: النصف الأول من الغلاف: حيث حمل في رأسه اسم الكاتب (يحيى يخلف) بخط أحمر، ثم تلاه عنوان الرواية (نهر يستحم في البحيرة) كُتب بخط باللون الأسود على امتداد عرض الصفحة، هذا الخط قريب من الخط الكوفي، وتحت العنوان من الجهة اليسرى للصفحة ذكر جنس العمل الأدبي (رواية) باللون الأسود، ونلاحظ في النصف الثاني من الصفحة صورة فوتوغرافية ربما تعود لبحيرة طبرية، تبدو فيها البحيرة مائجة، وعلى ضفافها نباتات وأعشاب، وفي الأفق الآخر سلسلة جبلية.

الصورة بمجملها توحي بأنها التقطت في يوم غائم أو ضبابي، وغلب عليها اللون القاتم الأسود والبنفسجي، وفي أسفل الصفحة شريط على عرضها باللون البنفسجي، وفي نهايته اليسرى اسم دار النشر.

أما الغلاف الأخير فقد حمل كلمة الناشر حول موضوع الرواية وشخصياتها، وأسفل كلمة الناشر في نهاية الصفحة شريط حمل بيانات الناشر والموزع.

جاءت الرواية في مائة وأربع وأربعين صفحة ذات الحجم المتوسط، طبعت بشكل جيد وواضح، تميزت عناوينها الداخلية بخط أكبر ومركز، ويلاحظ أن مؤلف الرواية لم يقسمها إلى فصول أو أجزاء. بدأت الرواية بمشهد سردي وصفي من نافذة تطل على البحر المتوسط بدون عنوان فرعي، وضمت الصفحات الثماني والثلاثون الأولى من الرواية ستة مشاهد عن (أونودو) جاءت حينما كان الراوي يعد العدة للرحلة إلى (سمخ)، أما المشهد السابع له فقد جاء قبيل نهاية الرواية، أما في بقية الرحلة - حيث استغرقت أكثر من مائة صفحة من صفحات الرواية - فقد جاءت العناوين قليلة ومتباعدة، فلم تتجاوز أربعة عناوين ومن الملاحظات التي تثير اهتمام قارئ الرواية أن المؤلف عندما كان يريد الفصل بين مقاطع الرواية ولوحاتها عند تغيير السرد زماناً أو مكاناً أو موضوعاً كان يضع أربعة نجوم هكذا (\*\*\*) للفصل بين مقطع سردي وآخر، وكذلك يفعل حين ينتقل السرد أو ينقطع أو يتم القفز في الزمن وعن بعض الأحداث.

## • تحليل عنوان الرواية:

النهر الذي يستحم في البحيرة هو نهر الأردن الذي يخترق بحيرة طبرية مستحماً فيها، ومتجهاً إلى مصبه نظيفاً، يرى الباحث أن المؤلف يرمز لبحيرة طبرية بالوطن الكبير التاريخي، أما النهر فهو مناطق نفوذ السلطة الفلسطينية.

## • الرسالة التي حملتها الرواية:

حملت الرواية رسالة مفادها أن اتفاقية أوسلو تشكل خطراً شديداً على مستقبل القضية الفلسطينية، لأن في بنودها اعتراف بالكيان الصهيوني وإيقاف المقاومة واختزال الثورة الفلسطينية في سلطة مدنية خدمتية هزيلة، ومن يقرأ الرواية بعمق يستشعر بأن الفلسطينيين وقعوا في فخ ومزلق لذا فيجب عليهم قبل فوات الأوان تصحيح المسار، واستدراك الأمر حتى لا تضيع أحلامهم وآمالهم سدى.

### ثانياً: وظائف السرد:

تقنية الاسترجاع (الارتداد): وهو مصطلح روائي حديث، ويقصد به الرجوع للذاكرة إلى الوراء لتذكر أحداث وقعت في الزمن البعيد أو القريب ويمكن تقسيم الاسترجاع إلى أنواع مختلفة:-

1- استرجاع خارجي ويعود إلى ما قبل بداية الرواية.

2- استرجاع داخلي ويعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية وقد تأخر تقديمه في النص.

3- استرجاع مسجي وهو ما يجمع بين الاسترجاع الخارجي والداخلي.

إن عملية الاسترجاع تعيد الزمن السردى إلى حوادث سابقة تكشف عن مقاصد جمالية وبنائية وفنية مثل: "ملء الفجوات التي خلفها السرد ورائه كما تساعد على فهم مسار الأحداث، وتقديم شخصية جديدة دخلت عالم الرواية، واختفاء شخصية، ثم عودتها للظهور من جديد.. سد الفراغ الذي حصل في القصة أو العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكر أو حتى لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية"<sup>(1)</sup>.

وللاسترجاع دور كبير في بناء الرواية، فوجوده ليس هامشياً بل إنه يؤدي وظيفة هامة مثل: توضيح ماهية العلاقة بين الشخصيات، ويوسع دائرة المساحة الزمنية، ويضع القارئ أمام الحدث المركزي الذي تدور حوله الرواية، كما أن له وظيفة بنيوية دلالية، فالشخصيات التي تحيا أمامنا في الرواية يشكل ماضيها حاضرها.

لقد اعتمد يحيى يخلف في رواية (نهر يستحم في البحيرة) على تقانة الاسترجاع بشكل متكرر وعلى مدار الرواية وطولها، فمرة نراه يستعيد ذكريات شبابه برام الله فيقول: "طائر الشباب الذي تركني منذ سبعة وعشرين عاماً، عند تلة الماصيون في رام الله. ولم يرافقني إلى بلاد الغربة"<sup>(2)</sup>.

ومن ذلك أيضاً حديث أكرم عن بيريتا: "وكانت تعشق عمي فارس الفارس قبل حرب عام

48"<sup>(3)</sup>.

ويقول عن قرينته (سمخ): "تذكرت البحيرة. والبحيرة هناك في الشمال، لقد احتلها عام 48، وعلى الرغم من ذلك فإنها ما زالت في مكانها، بقيت في الموقع الذي تركها فيه والدي الشيخ حسين

(1) الحاجي، فاطمة (الزمن في الرواية الليبية)، ليبيا، الدار الجماهيرية، ط1، 2000م، ص93.

(2) (نهر يستحم في البحيرة)، ص7.

(3) السابق، ص70.



وأمي خديجة وشقيقي راضي وعمتي حفيظة، ومنصور بائع التذاكر في محطة القطار، ونجيب المغامر الطيب...<sup>(1)</sup>.

هدف الراوي بهذا الاسترجاع الربط بين الماضي والحاضر وتأسيس زمن الخطاب الروائي الذي واكب جزء من تاريخ فلسطين.

### ثالثاً: تقنية التداعي (القناع):

اعتمد المؤلف (يحيى يخلف) في روايته (بحر يستحم في البحيرة) تقنية التداعي أسلوباً ليؤرخ الرواية فنياً للحالة الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو، وقد استخدم لتحقيق ذلك شخصية خارجة عن نطاق الحدث استوحاها من التاريخ القريب وهي شخصية الجندي الياباني (أونودو) الذي بقي لسنوات بعد هزيمة بلاده ثابتاً في كمينه يرفض كل الأخبار التي تشير إلى هزيمة بلاده ولا يصدق المنشورات التي ألقته طائرات العدو والتي تفيد باستسلام بلاده، كما أنه رفض تسليم سلاحه، وأصر على البقاء في كمينه، كان الراوي يستدعي مشهد (أونودو)<sup>(2)</sup> حين تتأزم الأمور ليبث روح الرفض وعدم الاستسلام في النفوس مهما كانت الظروف صعبة، هذا المشهد يتماهى مع الحالة الفلسطينية التي شعرت بخيبة الأمل، وربما اعتراها الشعور بالهزيمة حين تفكر ملياً فيما آلت إليه الأمور، أبعد الصبر الطويل، والنضال العظيم، والمقاومة المستمرة يختزل الحل في اتفاقية هزيلة لا تسمن ولا تغني من جوع، وكما يقول المثل الفلسطيني (صام صام وأفطر على بصلة).

لقد استتر المؤلف خلف شخصية (أونودو) الأسطورية التي جعلها قناعاً له، ليحقق من عملية التخفي الموضوعية والحيادية في نقده للواقع الفلسطيني، و"المهم ليس في هوية القناع، وإنما فيما يتيح للمبدع من إمكانات وآفاق، لتأمل الذات في علاقاتها بالعالم. وإن من طبيعته أن ينطوي على مفارقة، فهو ينطق بصوت الشاعر أو الأديب، ولا ينطق به في الوقت نفسه، لأنه في الحقيقة صوت مركب من تفاعل الصوتين معاً، ثم يبقى التظابق بينهما غير مكتمل تماماً، كما أن التظابق بين القناع والشخصية التاريخية أو الأسطورية غير متطابق تماماً، فقد يكون أقرب إلى هذا الطرف مرة وإلى ذلك الطرف مرة أخرى"<sup>(3)</sup>.

أراد المؤلف من استعارة الشخصية الأسطورية (أونودو) وتوظيفها أن "يصوغ من خلالها رؤيته ومواقفه إزاء القضايا والمسائل التي شغلته، ومنها اتفاق أوسلو، وفكرة التعايش، وحالة الهزيمة، والقدرة على التكيف مع الواقع الجديد، في حين أن الماضي بتفاعلاته الحارة ما زال حاضراً داخل النفس"<sup>(4)</sup>.

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص 21-22.

(2) السابق، ص 9.

(3) ينظر: عصفور، جابر (أقنعة الشعر المعاصر)، مهيार الدمشقي، مجلة فصول، م 1، ع 4، يوليو 1981م، ص 123-124.

(4) رزقة، يوسف (الشعور بالهزيمة وتداخلات الرؤية والسرد في رواية نهر يستحم في البحيرة)، ص 16.

إن فكرة استدعاء هذه الشخصية تقوم على عدم الاستسلام لسياسة الأمر الواقع لان في هذه السياسة روح الهزيمة وما يتبعها من يأس وقنوت، فأونودو رغم أنه كان وحيداً يعيش ظروفاً قاسية إلا أنه سجل موقفاً تاريخياً وهو رفضه لفكرة التطويع والترويض، هذا الموقف وطني خالص بامتياز لكن له ثمنه من ألم وحزن وقلق، ويحتاج للثبات عليه المزيد من الصبر، وتجاوز الاعتصار النفسي، والقبض على الجمر، رفض أونودو العودة مع قائده تاينغوشي وظل مع الطبيعة "لكن الحزن الذي كابده كان فوق طاقة احتمال البشر، فلقد وجد نفسه فجأة رجلاً بلا قضية"<sup>(1)</sup>.

إن رمزية هذه الشخصية والرسالة التي تحملها لنا كفلسطينيين -كما أرادها مؤلف الرواية- أن شخصية الجندي الياباني (أونودو) تمثل شخصية الفدائي الفلسطيني الشريف الذي أفنى عمره في النضال والمقاومة، فهو لا يستطيع العيش في أجواء بعيدة عن قناعاته أو مخالفة لأحلامه، ف نفسه الشجاعة ترفض التدجين والتزييف، وكرامته تأبى التنازل أو المساومة على أي شبر من أرض أجداده. يقول أونودو في المشهد الأخير: "أحضرتني من الشرق الأقصى إلى الشرق الأوسط، حاولت ترويضني، وإدماجي في برنامج التكيف والانصهار.. حاولت أن تدخلني في معادلتكم، وأن تلوي ذراعي وتحولني إلى دجاجة داجنة. دعني أتحرك وأخرج من سطورك الباهتة، أريد أن أستنشق الهواء، وأن أرى الأدغال والسماء الزرقاء، أريد أن أشم رائحة الأرض وأن أستمتع بالنقاء وغب المطر"<sup>(2)</sup>.

هذا القناع أضاء لنا شخصية الراوي ورؤيته النقدية، وسمح بعرض وجهة نظره، هذه التقنية خفتت من سطوة الراوي على الشخصيات وعلى المتلقي، حيث نقلته إلى حالة من المواجهة المباشرة مع الحدث، أو ما يمكن أن يسمى التفاعل الإدراكي مع الواقع بكل ما فيه.

#### رابعاً: الحوار:

تتبع أهمية الحوار من كونه جزء لا يتجزء من الأسلوب التعبيري في الرواية، وبما يحمله من صفات عقلية للشخصية، وبما يحدث من اتصال وتواصل بين الشخصيات، كما أنه يساعد في جعل الحركة مرئية في ذهن القارئ، وفي نقل الاطروحات الثقافية والفكرية وعرضها للنقاش والتحليل. ويعد الحوار من التقنيات التصويرية للشخصية، وهو الذي يمنحها وظائف حيوية تظهر فريديتها وخصوصيتها وربما تميزها ومدى سعة تفكيرها وعمق وعيها أو قوتها وضعفها، أو مدى توازنها أو اضطرابها، وبيان ماضيها وميولها.

والحوار يلقي الضوء على بعض من مشكلات الرواية فيقوم بدور المفسر لها، وكلما طال الحوار زاد الكشف عن الخفايا أو الأسرار التي يريد المؤلف الإباحة بها للمتلقي، فعندما أراد المؤلف كشف حقيقة المجتمع الإسرائيلي بأنه مجتمع عسكري يميل دائماً إلى الحرب وليس من طبيعته حب السلام أو التفكير فيه، فالأب محارب والأبن محارب "قال شاب ثالث من قسم التصوير: لقد جاء ولده للتو من المناطق. إنه يخدم في الجيش هناك. تدخل السيد أكرم وقال مازحاً: أنتم أيها الإسرائيليون ألا

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص37.

(2) (نهر يستحم في البحيرة)، ص141.

تسامون الحرب. الأب محارب، والولد محارب، وربما يمر الوقت، ويصبح الحفيد محارباً... ألا تسأمون من هذه اللعبة!!!"<sup>(1)</sup>.

وبمزيد من التوضيح يكمل الحوار دوره في هذا الكشف عن الشخصية الإسرائيلية العسكرية التي تعيش هذه الحياة بين البنادق والدبابات، والأسلاك الشائكة، والكلاب البوليسية، كل ذلك بحجة توفير الأمن، ألا يظن أولئك أنه لا يمكن أن يلتقي الأمن والظلم، ولا السلام وضياح الحقوق "زفر السيد أكرم بضيق، وقال بعصبية: هذه إسرائيل يا العاد. خوذ وبنادق ودبابات وأبراج مراقبة، ونقاط تفتيش، وأسلاك شائكة، وكلاب بوليسية، ومناطق أمنية. متى تغفلون عن ذلك. متى؟؟"<sup>(2)</sup>.

وفي الرواية مقاطع حوارية أخرى أثرت الحدث، وأسهمت في نموه بشكل طبيعي متدرج وطبيعي، كذلك كانت هذه المقاطع مشحونة بالعواطف والمشاعر التي تفيض حزناً وألماً، وتكشف عن نفسيات الشخصيات، وعن طرائق تفكيرها، ويرى الباحث أن هذه المقاطع الحوارية جاءت مسبوكة محبوكة بحيث تخدم أهداف الرواية، وإن مؤلف الرواية كان بارعاً في إدارته لهذا الحوار حيث وظفه بشكل جيد مما جعل القارئ يعيش كل جملة فيه، بل ويستشعر بظلال كل كلمة منه.

#### خامساً: الوصف:

تألق الراوي في وصف بلدته الأصلية (سمخ) ليبين للقارئ مدى تعلقه بها، ويظهر المكانة التي احتلتها في قلبه وعقله، كشف بوصفه هذا علاقته الخاصة بالأرض، كأنه جزء منها، أو كأنهما شيء واحد، يصف نفسه ساعة الوصول إلى (سمخ): "شممت رائحة البحيرة، رائحة المياه تختلط برائحة الأعشاب التي تنمو على حوافها رائحة قادمة من ستة وأربعين عاماً، مثلما يتذكر المرء رائحة الحليب وهي تقطر من ثدي أمه أو مثلما يتذكر فجأة رائحة الصابون الذي كانوا يغسلون به شعر رأسه. يا لتلك الرائحة الكامنة في أعماقي مثل النار الكامنة في قلب حجارة الصوان... لم يكن ثمة ما يمكن رؤيته من هذه البلدة التي اختفت سوى التراب... انحنيت وملأت كفي بحفنة منه، شعرت برغبة في البكاء"<sup>(3)</sup>.

هذا وصف درامي جمع بين الماضي والحاضر، استطاع الراوي من خلاله أن يجذب انتباه القارئ بل ويجبره على أن يتفاعل مع هذا الوصف، فلكل إنسان مسقط رأسه الذي يعز عليه، ويحن إليه، هذه مشاعر إنسانية فياضة دفعت الراوي لأن يشم رائحة البحيرة، ويتذكر رائحة الحليب الذي رضعه من أمه في (سمخ)، وكان لا يصدق ما رأيته عيناه، فأمسك بالتراب ليزداد من خلال إحساسه به تصديقه أنه استطاع الوصول إلى (سمخ)، وهنا اختلط فرحه بحزنه، فرح لأنه حقق ما يشبه الحلم وهو رؤية (سمخ)، أما ما أحزنه فقد رأى بلدته الأصلية مجرد تراب، فقد دمرها الاحتلال الصهيوني على بكرة أبيها، فلم يجد من أطلالها إلا التراب، وهنا خنقته عبرات وشعر برغبة في البكاء.

(1) السابق، ص 119.

(2) (نهر يستحم في البحيرة)، ص 136.

(3) السابق، ص 77-78.

## سادساً: الشخصيات:

لعبت ثلاثة شخوص رئيسة دوراً فاعلاً في الرواية، هذه الشخوص كانت مثقفة وذات خبرات وتجارب متنوعة، الثلاثة هم: الراوي الذي عاش في المنفى واللجوء، وكان يحلم بالعودة إلى وطن حر، وعندما عاد إلى الأراضي الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو، وجد نفسه كما هي فهو لا زال لاجئاً لم يستطع العودة إلى بلده الأصلية (سمخ).

أما الشخصية الثانية فهو أكرم عابد الفلسطيني الذي هاجر إلى أمريكا وحصل هناك على الجنسية الأمريكية.

أما الشخصية الثالثة فهي (مجد) الفلسطينية المقيمة في مدينة القدس، ولها صلة بمكتب الرئيس الفلسطيني، ومنه حصلت على هاتف الراوي في غزة بعد وصوله إليها، وكان الهاتف في البداية هو وسيلة الاتصال بينهما، وبواسطته تم التمهيد للقاء وللرحلة.

هناك عامل مشترك أو قضايا متشابهة جمعت بين هذه الشخصيات، فكل واحد من هذه الشخصيات يبحث عن مفقود، ويمكن الوقوف عند كل قضية من هذه القضايا لتتعرف من خلالها على تفاصيل أكثر وأحداث وظفها المؤلف ليصل بالمتلقي إلى ما يريد.

### قضية الراوي:-

الراوي فلسطيني عاش في الغربة بعيداً عن وطنه، فطاف في بلاد المنافي والشتات ومعسكراتها، كان يحلم بالعودة إلى بلده (سمخ) ليستقر فيها، فتذهب آلامه وأحزانه التي جناها على مر الأيام، وظناً منه أن هذا الحلم قد تحقق بعد اتفاقية أوسلو، عاد إلى الأراضي الفلسطينية، عاد إلى غزة لكنه لم يستطع أن يأقلم نفسه للعيش فيها لأنه يشعر بأنه لا زال لاجئاً "أما أنا فقد كنت حزيناً، أرتجف من البرد، على الرغم من أن الوقت صيف والشمس ساطعة، كنت أشعر أنني أشبه بحاراً غادر سفينته، وألصق وجهه بزجاج النافذة، وأعلن أنه مهزوم"<sup>(1)</sup>، وحينما أراد أن يخفف من وطأة هذا الشعور، حاول الوصول إلى بلده الأصلية (سمخ)، وبالفعل وبعد جهد جهيد ومحاولات متكررة وصل إليها كسائح بتصريح من العدو الصهيوني، بحث هناك عن خاله (عبد الكريم الحمد) المفقود الذي تعلق به كثيراً، هذا الخال قتل أو استشهد بعد احتلال فلسطين عام (1948م) على ضفاف بحيرة طبرية حين أصر على العودة إليها ليموت هناك كما تموت الغزلان في وطنه بعد أن أحس بدنو الأجل "يا عبد الكريم الحمد.. كيف تحملت هذا الصقيع طوال هذه المدة، كيف قضيت عمراً آخر في الثلجة. ألم ترتعد فرائصك، ألم يقشع بدنك، وأنت الذي عشت عمرك كله في الأغوار الحارة. أنت الذي هرب من البرد والصقيع من أجل نهاية أكثر دفئاً. جئت متسللاً لتموت فوق تراب وطنك عندما شعرت باقتراب دنو الأجل، جئت لتموت هناك فوق أنقاض دار الأمان مثلما تموت الغزلان!!!"<sup>(2)</sup>.

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص156.

(2) السابق، ص120.

عرف الراوي من خلال أكرم عابد أن جثمان خاله ما زال موجوداً في ثلاجة في إحدى مستشفيات تل أبيب، ورغم محاولات أكرم الذي يحمل الجنسية الأمريكية؛ إلا أنهم فشلوا في رؤية الجثمان أو الوصول إليه تمهيداً لدفنه.

### قضية أكرم عابد:

عاش أكرم في المهجر، فكون ثروة، وحمل أفكاراً تختلف عن أفكار الراوي أو تتناقض معها ربما إلى حد الاصطدام لا سيما فيما يتعلق بالأخلاقيات وفكرة التعايش الفلسطيني الإسرائيلي "كان رجلاً واثقاً من نفسه، وكانت أمريكا قد أكسبته ملامح ارستقراطية"<sup>(1)</sup>.

أما قضيته فقد جاء أكرم باحثاً عن قصة حب وعلاقة غرامية وزوجية قديمة بين عمه فارس الفارس وبيرتا الراقصة اليهودية قبل الهجرة في مرقص الليدو<sup>(2)</sup>، حيث تزوجا وهاجرا معاً إلى لبنان أثناء النكبة، ثم عادت بييرتا وحدها إلى إسرائيل بعد أن أفتضح أمرهما، كان أكرم يحمل الخاتم الذي أهدته بييرتا لعمه.

أراد المؤلف أن يجعل من الخاتم رمزاً للارتباط والتعايش والتسامح، أما بحث أكرم عن بييرتا فهو الأمل في هذا التعايش "الآن، سيتوجه للالتقاء ببييرتا... رمز التعايش، وصورة المستقبل الممكن"<sup>(3)</sup>، لكن السؤال: هل وجد أكرم ما كان يبحث عنه؟ لقد وجد بييرتا عجوزاً لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم، وبالكد تستطيع المشي، وجهها متجدد، وذاكرتها معطوبة جداً.

إن التعايش الذي كان يأمله ويبحث عنه أكرم وأعد له وسائل الإعلام ليجعل منه حدثاً لم يكن على المستوى المطلوب، بل نتيجته كانت خائبة فقد وجد بييرتا مشلولة، لقد شعر أكرم باليأس لأن مهمته قد فشلت.

أبدى أكرم أثناء رحلته استيائه الشديد وضيقه وتبرمه حين شاهد المظاهر العسكرية الإسرائيلية في كل مكان وتساءل: إلى متى ستستمر إسرائيل بهذا الشكل الأمني، والاستنفار العسكري، والحشود المسلحة؟! "هذه إسرائيل بالعاد، خوذ وينادق ودبابات وأبراج مراقبة، ونقاط تفتيش، وأسلاك شائكة، وكلاب بوليسية، ومناطق أمنية، متى تفلعون عن ذلك. متى؟"<sup>(4)</sup>.

ويفضل أكرم مرة أخرى حين مُنع من الوصول إلى جثمان خاله الراوي رغم السماح له بالدخول إلى المستشفى وحده لأنه يحمل الجنسية الأمريكية.

لقد أثار الفشل المتكرر حفيظة أكرم فأيقن أن التعايش مع العدو الصهيوني غير ممكن، وبردة فعل على هذا الفشل قام بطرد الطاقم التلفزيوني الإسرائيلي المصاحب، ورفض البقاء معه في السيارة نفسها، ورغم صراخ المرأة من الفريق التلفزيوني (أيها الفلسطينيون لا تفقدوا الأمل) إلا أن أكرم اعتبر هذه الصرخة مجرد مناورة ومراوغة لا قيمة لها ولا فائدة منها.

(1) السابق، ص 43.

(2) السابق، ص 122.

(3) (نهر يستحم في البحيرة)، ص 122.

(4) السابق، ص 136.

أصر أكرم على العودة من تل أبيب إلى القدس بسيارة مستأجرة بصحبة الراوي ومجد، وقد قرر أن أمر التعايش غير ممكن (لا فائدة.. لا فائدة)، وعلى مشارف القدس عند نقطة تفتيش إسرائيلية دار حوار بينه وبين أحد الجنود الإسرائيليين عن السلاح، صرخ أكرم في وجهه قائلاً: "القبلة موجودة داخل صدري.. في أعماقي.. حذار من الاقتراب، فقد تنفجر بين لحظة وأخرى"<sup>(1)</sup>.

شعر أكرم بالإحباط النفسي جراء الفشل المتكرر، حيث رأى أن العدو الصهيوني وراء هذا الفشل في كل مرة، وأن طبيعته العنصرية تأبى التعايش مع العرب، وأن فكرة السلام ما هي إلا أكذوبة يجملها الإعلام ليسوقها على الرأي العام لتجد قبولاً، لكن الحقيقة غير ذلك تماماً، فكيف يمكن أن يكون تعايش بين طرفين افتري أحدهما على الآخر بالقوة فجرده من كل حقوقه، واستولى على كل ممتلكاته، وجعله يعيش في العراء، كيف تطيب نفس هذا المظلوم للتعامل مع هذا المجرم بأريحية وثقة؟! **قضية مجد:**

مجد امرأة فلسطينية مقيمة في القدس، مشتتة حائرة، "كانت مجد شاحبة، وقد غادر محياها كل بريق، كانت تبدو مثل امرأة تظهر في رواية إغريقية مأساوية"<sup>(2)</sup>. وقفت في منتصف الطريق لا تدري إلى أين تتجه، فقد كان يربطها علاقة قديمة بالراوي، وكان أملها إحياء هذه العلاقة من جديد، وكانت أيضاً في الوقت نفسه تأمل في بناء علاقة جديدة مع أكرم، وهي تراوح بينهما، فمرة تميل إلى الراوي، وأخرى تميل إلى أكرم، لكن في النهاية رجحت كفة الميل لأكرم لأنها لم تجد من الراوي ميلاً حقيقياً، لأنه يخالفها في التفكير، فمجد ترى أن الخلاف حول القضايا العالقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن حله عن طريق القضاء والإعلام والنواب العرب في الكنيست الإسرائيلي "كنت أريد أن أقترح أن نقوم بحملة من أجل إثارة الموضوع أمام الرأي العام، وبهذا الصدد فإني أقترح أن نرفع قضية، ونبحث عن محام، وأن نتصل بأعضاء الكنيست العرب، وأن نتصل بالصحافة"<sup>(3)</sup>.

مثل رأي مجد تياراً موجوداً في الساحة الفلسطينية، حيث يرى هذا التيار أنه يمكن حل القضية الفلسطينية من خلال الرأي العام العالمي، والأمم المتحدة، ومؤسسات المجتمع المدني، هذا التيار لا يرتاح الراوي إلى فكره لأنه يمثل في نظره واقعاً قلقاً غير مستقر، وغير محدد الأهداف، ومفروضاً وناقصاً، لذلك فالراوي لا يطمئن إليه ولا ينسجم معه ولا يقبله.

تمثل مجد الواقع الفلسطيني الجديد لا الحلم الفلسطيني القديم "مجد تفكر -ربما بوضعها الخاص، مجد - ربما - تنقسم إلى امرأتين، واحدة تفكر بليلة عرس، وأخرى عالقة بعش عنكبوت"<sup>(4)</sup>. صُدم الكاتب بهذا الواقع الذي يناقض الحلم، فصورة الحلم كانت أكثر حرية وجمالاً ونقاءً من الواقع

(1) (نهر يستحم في البحيرة)، ص144.

(2) السابق، ص128.

(3) السابق، ص139.

(4) (نهر يستحم في البحيرة)، ص116.

"المنفى جميل لأن الأحلام جميلة، والوطن صعب لأنه مئخن بالجراح وتتكرس فيه أجنحة الخيال. فلسطين الحلم ليست فلسطين الواقع"<sup>(1)</sup>.

لقد أبدى الراوي خيبة أمل عميقة بنتائج اتفاقية أوسلو، والسلام المزعوم المزيف لأن هذه الاتفاقية ناقصة ومجحفة بحق الفلسطينيين.

### نتائج البحث:

- 1- تعد رواية (نهر يستحم في البحيرة) رواية فكرية أدبية سياسية فيها عمق كبير تكشف عن تعقيدات القضية الفلسطينية.
- 2- ارتطام الحلم بالواقع والتناقض بينهما أظهر بُعد المسافة التي نتج عنها أزمة نفسية عند الراوي ف شعر بالألم والأشواق الحزينة والإحساس بالاغتراب والانكفاء على الذات والمعاناة والتمزق الداخلي، وأن أوسلو ما هي إلى هزيمة تجسدت في الواقع.
- 3- أوسلو في نظر الراوي مجرد خدعة أو أكذوبة لم تحقق للفلسطيني أدنى مستوى من حلمه لأن الاحتلال لا زال جاثماً على صدر الوطن يمارس عنجهيته وغطرسته وصلفه، مقابل دور سلبي للسلطة الفلسطينية اتجاه هذه الممارسات، وهذا يظهر ضعف السلطة أو أنها وقعت في فخ هذه الاتفاقية المشنومة.
- 4- من الرسائل التي حملتها هذه الرواية أن: الممارسات الإسرائيلية الظالمة على أرض فلسطين بعد أوسلو تظهر فشل فكرة التعايش كما تؤكد على عدم إمكانية التطبيع مع العدو الصهيوني لأنه لا نية عنده أن يعطي للفلسطينيين حقوقهم، كما أنه لا يؤمن إيماناً صادقاً بعملية السلام.
- 5- رسمت الرواية الصورة الحقيقية للمجتمع الإسرائيلي وبينت أنه مجتمع عنصري ولا إنساني، عدواني وتزيفي ومادي، يسكنه الخوف والقلق وهاجس غياب الأمن، ومعاداته للتاريخ والتراث، ويغلب عليه حب السيطرة وبسط النفوذ بالقوة والبطش، وأنه ينظر للفلسطيني نظرة دونية لأنه لا يتساوى معه في القوة والإمكانيات، وأن المجتمع الفلسطيني معتمد عليه وبحاجة إليه.
- 6- استخدم المؤلف في روايته مجموعة من التقنيات السردية والأدوات الفنية فأخرجتها من مجال التقليد إلى الإبداع والتجديد ووظفها في الرواية فأعطت الرواية نوعاً من التغيير في الأجواء والدعوة إلى التفكير العميق وبعثت فيها الحركة والنشاط والحيوية.
- 7- نلمس في رواية (نهر يستحم في البحيرة) نقد الذات ونقد الآخر بموضوعية وحيادية وظهر وكأنه ناقل للأخبار حسبما يتناولها الآخرون، حيث جاء هذا النقد من خلال عمليات التخفي وإشراك الشخصيات المركزية الفاعلة في الرواية ومن خلال الحوار والوصف.
- 8- أثبتت الرواية أن اتفاقية أوسلو بينت حقيقة ما يدور على أرض الوطن من ضياع للقضية الفلسطينية والمبادئ والثوابت المتعلقة بها، وأن عملية تنفيذ الاتفاقية اختزلت في عبور المؤيدين لها إلى جزء من أرض الوطن ليبنوا عليه سلطة مدنية خدمتية منزوعة الصلاحيات لا ترقى لدولة أو

(1) السابق، ص 117.

دويلة، بالمقابل حرم سائر اللاجئين في المنافي والشتات من العبور والعودة إلى مدنهم وقراهم الأصلية.

9- جمعت رواية (نهر يستحم في البحيرة) بين الواقعية والرومانسية والرمزية والأسطورية، وقد تجاوزت الترتيب الزمني والتسلسل المنطقي، وقد استخدم فيها المؤلف أدوات فنية وتقنيات سردية ومشكلات روائية جعلتها تدخل في مجال الإبداع والتجديد من أوسع الأبواب.

10- حملت الرواية كعمل فني رسالة مفادها أنه لا بد من تصحيح المسار واستدراك الأمر بعد أوصلو حتى لا تضيع الأحلام والآمال، ولا بد من فتح آفاق جديدة تخدم مستقبل القضية الفلسطينية.



## التوصيات

1. عقد ندوات سياسية وفعاليات أدبية للكشف عن نتائج اتفاقية أوسلو بعد مرور أكثر من عقدين من الزمن على توقيعها.
2. تشكيل لجنة وطنية لتحليل اتفاقية أوسلو، وبيان ما أحدثته من تحولات في الشخصية الفلسطينية، وفي ثقافة الأجيال بعدها، وأثرها في مقاومة المقاومة الفلسطينية.
3. أن يتحمل المثقفون والمفكرون الفلسطينيون مسئوليتهم تجاه آثار هذه الاتفاقية من حيث كيفية المعالجة والتخلص من تبعات هذه الاتفاقية.
4. أن يتحمل الجميع مسؤوليته تجاه ضرورة وقف التنسيق الأمني مع العدو الصهيوني والضغط على الجهات الفلسطينية التي تسعى وتنفذ هذا الأمر.
5. أن يتضمن متطلب الجامعات والكليات دراسة مخاطر هذه الاتفاقية لتوعية الأجيال ونشر ثقافة المقاومة.
6. البحث عن وسائل وآليات للخروج من الأزمات والمشاكل التي ولدتها هذه الاتفاقية والتنسيق بين جميع الفصائل الفلسطينية للمشاركة في ذلك.
7. تشجيع الطلبة على البحث ودراسة اتفاقية أوسلو وما شابها لتنمية الوعي السياسي عندهم.

## المصادر والمراجع

- 1- أبو نضال، نزيه، والقليلي، عبد الفتاح (الكاشف معجم كتاب وأدباء فلسطين)، منظمة التحرير الفلسطينية المجلس الأعلى للتربية والثقافة، (ن-ي).
- 2- الأسطة، عادل (كنعان مجلة فكرية ثقافية)، مركز إحياء التراث العربي في الطيبة، العدد 100، كانون الثاني، 2000م.
- 3- الحاجي، فاطمة (الزمن في الرواية الليبية)، ليبيا، الدار الجماهيرية، ط1، 2000م.
- 4- حبيب، إبراهيم (بحث بعنوان: أثر المقاومة الفلسطينية على الأمن القومي الإسرائيلي)، (مجلة الجامعة الإسلامية - غزة)، عمادة البحث العلمي، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، رجب 1431هـ، يونيو 2010م، الجزء الثاني.
- 5- حواتمة، نايف (أوسلو والسلام الآخر المتوازن)، الأهالي، بيسان، (د.ت).
- 6- خليفة، سحر (الميراث)، بيروت، دار الآداب، ط1، 1997م.
- 7- رزقه، يوسف (الشعور بالهزيمة، وتداخلات الرؤية والسرد في رواية نهر يستحم في البحيرة)، الجامعة الإسلامية - غزة.
- 8- السعافين، إبراهيم (الرواة على بيد الحكمة)، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
- 9- سعيد، إدوارد (المثقف والسلطة)، ترجمة محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

- 10- عصفور، جابر (أفئعة الشعر المعاصر)، مهيار الدمشقي، مجلة فصول، م1، ع4، يوليو 1981م.
- 11- العواودة، زين العابدين (بحث بعنوان: البنية الولاية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد أوسلو)، (مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية)، شئون البحث العلمي، المجلد العشرين، العدد الأول، ربيع أول 1433هـ، يناير 2012م.
- 12- هلال، جميل (مقال: أبعاد مأزق المشروع الوطني الفلسطيني بعد أوسلو)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد36، خريف 1998م.
- 13- هنا، حبيب (حفريات على جدار القلب)، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 2003م.
- 14- يخلف، يحيى (نهر يستحم في البحيرة)، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1997م.